كتابة على الحيطان

البشير وصدام.. طريق الهاوية

عامر القيسي

مقارنة بسيطة بين سلوك صدام منذ احتلال الكويت وحتى لحظة سقوطه ،وسلوك البشير السوداني منذ إصدار وثيقة إلقاء القبض عليه من قبل المحكمة الجنائية العليا، اينما وجد وكيفما وجد ومتى وجد ،تشير الى تطابق في السلوك الذي ينتجه عقل استبدادي لا يفهم من آليات العمل السياسي غير وجهه الارادوي الخادع، فصدام حشد الجماهير العراقية البائسة للرقص والتهريج والمبايعة في الوقت الذي كانت الإدارة الأمريكية تتقدم بتأن وثقة نحو هدفها الإستراتيجي.

البشير يحشد أيضاً الجماهير السودانية الفقيرة والأمية والمغلوب على أمرها، في سلوك استعراضي رغم انف الجميع وهو ليس استثناءا عن العقلية الاستبدادية التي تعتقد بان على الجماهير ان تخدمها لا العكس، وان تذهب هذه الجماهير الى الجحيم لينعم الرئيس بالفردوس .

الملايين العراقية من منظمات حزب البعث المنحل الى جيش القدس وفدائيو صدام وطوارئ بغداد والحرس الجمهوري والأمن والمخابرات والأمنين القومي والقطري والمخاتير والقتلة المأجورين الذين جاءوا من بلاد العرب أوطاني دفاعا عن (عراقهم) والذين استنروا خلف شعار (لن يمروا). كل هذا الحشد مع أسلحته وأجهزته واتصالاته وملابسه الخاصة والعامة تبخر، كما قال صدام في إحدى خطبه الرنانة (خوما تبخرنا)، خلال أيام وفي بعض المناطق خلال ساعات وفي أماكن أخرى من بغداد تحديدا حتى قبل ان تنطلق دفعة الصواريخ الأولى في فجر ٢٠٠٣/٣/٢٠، بل ان بعض مرتدي زيتوني السلطة كانوا يوجهون سير صواريخ الامبريالية العالمية واتجاهاتها ومواقع سقوطها!

البشير هذا الكائن البائس الذي يريد ان يحارب العالم بصولجانه الرخيص، يمتلك ذاكرة ضعيفة، وحسا وطنيا اضعف، فها هو يقوم باستعراض القوة بين الجيش الجائع والعشائر والجماهير المسحوقة التي لا تعلم ماذا يحدث ومتى يحدث وكيف يحدث دون ان يكلف نفسه عناء رج ذاكرته الخاملة ليتعض من تجارب الآخرين؟! ولو كانت له ذاكرة قوية لتذكر استعراضات جيش القدس الذي ضلّ أول جندي فيه طريقه الى القدس فيما بقي مكان آخر جندي فيه مجهولا!

ولو كانت ذاكرته قوية، لأسعفته بمنظر القتلة من (فدائيو صدام) وهم يلتهمون الكلاب والأفاعي ويقطعون رقاب والسنة الناس بدم بارد، والذين تحولوا بين ليلة وضحاها، كما يقال، الى مناضلين في أحزاب أخرى يسبون ويشتمون القائد المظفر ليل نهار . لو كانت له ذاكرة قوية لاستعرض المشهد العراقي عندما دخلت القوات الأمريكية الى بغداد، فتبخرت كل القيادات الحزبية والعسكرية والأمنية من الشوارع ومن خلف المتاريس، حتى المعسكرات فرغت من جنودها وضباطها واختفى الرفاق من مقرات الحزب التي دخلها الناس لأول مرة دون خوف وقلق !وسط ذهول العراقيين والأمريكان والعرب الذين اعتقدوا بأنهم سيرون قائدهم الحبيب أول من يطبق شعار (النصر او الشهادة).

صدام منع المساعدات الدولية عن الشعب العراقي من دواء وغذاء بحجة الكرامة التي مرغها في صحراء الكويت وراح يتاجر بجثامين الأطفال التي كانوا يسيرونها في شوارع بغداد استجداء للتعاطف الدولي، فما فلح الا باستقطاب جورج كلوي، الذي ضربه (كلاو) من الطراز الرفيع ،ونباح من اشتراهم بكابونات النفط من سياسيين وفنانين ورجال إعلام ومؤسسات حكومية وأحزاب (تخر) من آذانهم القومية والعروبية..

البشير طرد معظم منظمات الإغاثة الدولية بحجة التدخلات في الشأن الداخلي، وكأنه استفاق اليوم من صدمة (التدخلات) التي افتعلها ليمنع عن اهل الجنوب الدواء والغذاء، وهو يهتز طربا في شوارع العاصمة السودانية بـ(انتصاره) التاريخي والقومي على منظمات الإغاثة الامبريالية النهابة للشعوب الفقيرة.

سلوكان متشابهان ينطلقان من أرضية واحدة، الا وهي احتقار الشعب واحتكار السلطة وإلغاء الآخرين والسير في طريق الهاوية.

الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

اليسار الفنلندي والخروج من الأزمة!

في دول الاتحاد الأوروبي، الخمس والعشرين، انتهت في أوائل حزيران ٢٠٠٩، الانتخابات لبرلمان الاتحاد الأوروبي، في فنلندا العضو في الاتحاد منذ عام ١٩٩٥، حملت نتائج هذه الانتخابات الكثير من المفاجآت، أبرزها صعود الحزب اليميني المتطرف "فنلندا الأساس"، الذي عرف بمواقفه المتشددة ضد المهاجرين والمسلمين، فمن بين الفائزين بالمقاعد الثلاثة عشر، حصة فنلندا في البرلمان الأوروبي، حصد المتطرف اليميني تيمو سويني، زعيم حزب "فنلندا الأساس" اكبر عدد من الأصوات بين كل الفائزين، ونال ما يزيد على ١٣٠ ألف صوت وضمن، ولأول مرة، مقعدا لحزبه في برلمان الاتحاد الأوروبي

يوسف أبو الفوز

أن مقعدا في البرلمان الأوروبي، مع نسبة ٩,٨٪ من أصوات الناخبين الفنلنديين أمر لايستهان به في ساحة توزيع المقاعد والأصوات بين الأحزاب الفنلندية، حيث تراجعت الأصوات لأغلب الأحزاب الأساسية والتي عرفت بالأحزاب الكبيرة ، اكبر الخسارات، التي أثارت انتباه الشارع الفنلندي، ما سجلها حزب اتحاد اليسار الفنلندي، حيث فقد مقعده الوحيد، الامر الذي دفع زعيم الحزب مارتي كورهنين (مواليد ١٩٥٣) الى تقديم استقالته الفورية، والتي أعلن عنها في مؤتمر صحفي، محملا نفسه وبكل شجاعة نتائج الخسارة المؤلمة لحزبه، داعيا الى فسح المجال أمام القيادات الشابة التي تكون "اقرب الى نبض الشارع".

وفورا دعت قيادة حزب اتحاد اليسار الى اجتماع طارئ حيث تم اختيار نائب الرئيس بافو ارهينماكي (مواليد ١٩٦٧)، وهو عضو في البرلمان الفنلندي، ليشغل مؤقتا موقع رئيس الحزب بكامل الصلاحيات، حتى يحين موعد الانتخابات الحزبية وفق نظام الحزب لانتخاب الرئيس بشكل ثابت في صيف العام الحالي .

مارتي كورهينين، الذي شغل رئاسة حزب اتحاد اليسار من عام ٢٠٠٦، وكان للفترة (١٩٩٩ . ٢٠٠٣) وزيرا للشؤون البلدية والإقليمية في حكومة الوحدة الوطنية ممثلا لحزبه، أعلن أيضا بأن الصورة لا تبدو قاتمة أمام حزبه فقط، فأن الحزب الاشتراكي الديمقراطي، اكبر الأحزاب اليسارية،والذيلطالماقادحكومات متعاقبة، تعرض أيضاً للخسارة بفقدانه احد مقاعده الثلاثة في البرلمان الأوروبي، واعتبر ان اليسار الفنلندي بحاجة الى مراجعة لمجمل سياساته أمام تكرر الخسارات في الانتخابات للبرلمان الفنلندي، وانتخابات مجالس المحافظات وأخيرا انتخابات برلمان الاتحاد الأوروبي.

أشار مراقبون الى ان أحزاب اليسار بمجملها لم تحسن استغلال الأزمة الاقتصادية العالمية، التي وصلت تأثيراتها الى فنلندا، مما دعا النقابات العمالية الى إعلان والتهديد بالعديد من الإضرابات احتجاجاً على موجات التسريح من العمل وثبات الأجور وتقليص العديد من المستحقات، وفي يوم ١٥ حزيران ٢٠٠٩ أعلن سواق القطارات إضرابا ليوم واحد في عموم البلاد مما سبب شللا تاما في حركة التنقلات، ووضع الحكومة اليمنية أمام تحد كبير، ويضع أمام أحزاب اليسار فرصا كبيرة لتقديم برامج وحلول تعالج أزمات البلاد الداخلية. ويشير المراقبون ان من المفارقة ان الأحزاب اليمينية والبرجوازية أجادت استخدام أوراق الأزمة الاقتصادية مقدمة الوعود والبرامج لإنقاذ البلاد من مخاطر الأزمة، متحججة بالقرب من أصحاب رؤوس الأموال وأصحاب الشركات، الذين تدعي أن لديهم الخبرة في إدارة الاقتصاد وأزماته . وفيما لو أستمر الحال على هذا المنوال فليس مستبعدا أن تختار فنلندا في الانتخابات الرئاسية القادمة، عام ٢٠١٢ ، " رئيسا ازرق"، ارتباطا بلون الأحزاب اليمينية في حملاتها الانتخابية، فحزب الائتلاف الوطني الفنلندي (يمين) ولأول مرة في تأريخه اصبح يتصدر قائمة الأحزاب السياسية، كأكبر حزب في البلاد من حيث نسبة التصويت في الانتخابات الثلاث الأخيرة، وفي انتخابات البرلمان الأوروبي حصل نسبة تصويت ٢٣,٢ ٪، وهذا يجعله من الآن يروج لمرشحه القادم للانتخابات الرئاسية، والمتوقع فوزه، رئيس البرلمان الحالي ساولي نينيستو .

ويعزو الأستاذ اريتي سيتونين الباحث في المعهد الفنلندي للشؤون الدولية، في دراسة منشورة له هذه الأيام، السبب في صعود اليمين الى "ان الشعور الوطني القومي أخذ يتصاعد مؤخرا في فنلندا".

وعلى اثر نتائج انتخابات البرلمان الأوروبي، يبدو لنا ان حزب الخضر الفنلندي ظل متوازنا في الحفاظ على قواه، بل هو الرابح الوحيد من بين أحزاب اليسار الفنلندي، إذ أصبح لديه مقعدان بدلا من مقعد واحد، ونال نسبة جيدة من الأصوات بلغت ١٢,٤٪ أي بزيادة ٢٪ عن الانتخابات السابقة.

اما الحزب الاشتراكي الديمقراطي فرغم خساراته المتكررة وما يسميه المراقبون "بتآكل الدعم الشعبي لسياساته"، الا أنه يبدو تحت ضغط اقل من حزب اتحاد اليسار، فما زال من الأحزاب الثلاثة الكبار، (إضافة الى حزب الائتلاف الوطني الفنلندي وحزب الوسط)، ففي عام ٢٠٠٣ في الانتخابات البرلمانية نال الاشتراكي الديمقراطي ٢٤,٥ ٪ من أصوات الناخبين، ولكن بحلول عام ٢٠٠٧ كانت النسبة قد هبطت إلى ٢١,٤٪، والآن كانت نسبته ١٧,٥ ٪، وهي مخيبة للآمال، ما يجعل حزبي اليسار الرئيسين في أزمة حقيقية، خصوصا حزب اتحاد اليسار الذي توالت عليه الخسارات وجعلته يهبط من ترتيب الأحزاب الخمسة الكبيرة.

الصحفي والناقد الأدبي فيلي روبنين، سكرتير منظمة الكتاب والفنانين الفنلنديين اليسارية، في حديثنا معه، أشار الى "ان أزمة اليسار ليست جديدة، ومن أهم عواملها انهيار الاتحاد السوفياتي وتداعياته والسياسات الاقتصادية الجديدة، وان نتائج الانتخابات للبرلمان الأوروبي، كانت خطوة كشفت عن أخطاء في الأداء السياسي عند مجمل قوى اليسار، خصوصا عند حزب اتحاد اليسار".

اما الباحث في جامعة هلسنكي، الدكتور ماركو يونتين فهو يشير الى "ان أزمة اليسار، ليس في فنلندا وحدها، بل هي تشمل العديد من البلدان الأوروبية، وهناك دول عديدة مثل هولندا، النرويج، النمسا وسويسرا، شهدت صعود اليمين، خصوصا المتطرف منه".

زعماء حزب اتحاد اليسار، وفي إطار معالجة الأزمة والخروج منها، بدا العديد منهم في الدعوة لمؤتمر استثنائي شامل للحزب.

عضو البرلمان عن حزب اتحاد اليسار ايسكو يوهني تينيلا دعا الى"ان تغيير أشخاص في القيادة لا يكفي يجب علينا توضيح النهج"، ويأتي تعليقه في إطار التنافس الجاري على موقع رئيس الحزب من قبل نحو أربعة من الوجوه الشابة القيادية في حزب اتحاد اليسار، وان كان بافو ارهينماكي يعتبر أكثر الحظوظ بينهم فهو مقبول بشكل واسع بين الشباب بحكم كونه ولسنوات عديدة شغل موقع رئيس اتحاد شباب اليسار. من جانبه اعلن بافو ارهينماكي بأن" لا يمكن ان تكون هزيمة الحزب بسبب شخص واحد فقط، كما لا يمكن لشخص بمفرده ان ينقذ الحزب مما فيه "، ودعا الى العمل الجماعي واعتماد برنامج تحالفي مع منظمات المجتمع المدني، واعتبر ان للخروج من حالة الركود فان الحزب بحاجة لتنشيط عمله " في مجال البيئة مرتبطا بالانتقاد الدائم للرأسمالية، وزيادة الاهتمام بتلبية احتياجات أصحاب الاعمال الصغيرة والأشخاص الذين يعملون بعقود محددة". ويبدو البعض في حزب اتحاد اليسار متفائلا بالخروج من الأزمة، ويعتبرونها عابرة، ويؤيدهم في ما يذهبون اليه، الباحث اريتي سيتونين، في تعليقه على نصر الأحزاب اليمينية المتطرفة قائلا: "اعتقد ان هذا النصر لن يدوم "وهو يرى" ان الأحزاب اليسارية ما زال بإمكانها ان تعمل الكثير"، ونحن نعتقد كذلك!

منظمات المجتمع المدني سلطة خامسة

عزمي البير

لم تكن ظاهرة انتشار المنظمات غير الحكومية (منظمات المجتمع المدني) حديثة على المجتمع العراقي حيث عملت وبشكل محدود قبل سقوط النظام السابق وكانت تعرف بالمنظمات الإنسانية وخصوصا فترة مابعد حرب الخليج الثانية أي فترة فرض الحصار الجائر على الشعب العراقي، وكانت تقتصر على توزيع المساعدات الإنسانية مثل الغذاء والدواء وتقديم معونات مالية لإجراء العمليات الجراحية والتي كان أعباؤها ثقيلة على المواطن وذلك عن طريق قنوات محدودة جدا مثل المؤسسات الإيمانية ودور العبادة مثل الجوامع والحسينيات والكنائس والمعروف مصادر تمويلها، كون النظام السابق لا يسمح لانتشار مثل تلك المؤسسات بشكل واسع.

وبعد سقوط النظام السابق أي بعد نيسان ٢٠٠٣ والانهيار الذي حصل من جراء العمليات العسكرية وتدمير البنية التحتية الكامل للدولة وبسبب هذا التغير حدث انتشار واسع جدا لتلك المنظمات وبشتى المجالات منها الإنسانية والثقافية والعلمية والبحثية..الخ، وعمل بعض المؤسسات من تقديم المساعدة على إعادة بناء نظام الدولة الجديد مثل صياغة مسودات قانون الانتخابات لدعم العملية الديمقراطية وكتابة الدستور، حيث تم العمل على تثقيف المواطن لتلك المشاريع وتقديم المساعدة للهيئات التشريعية من خلال تقديم الاستشارة والتنفيذ المباشر وتدريب الكوادر الوسطية العاملة في تلك المجالات، وهنا لابد من ذكر المخاطر التي تعرض لها العاملون في هذه المنظمات من قتل أو اختطاف أو اعتقال أو تهديد وإساءة، بغية الحد من نشاطهم وتأثيرهم في عملية إرساء الديمقراطية وبناء دولة سيادة القانون والعدالة.

وعلى الرغم من المعوقات العديدة التي واجهت وتواجه نشاط هذه المنظمات وهي تتصدى للواقع الأليم،في ظروف تدهور الوضع الأمني وغياب الدعم المادي والمعنوي لها وقد استطاعت بناء قدراتها الذاتية وإقامة علاقات مجتمعية واسعة وعلاقة تعاون مع مختلف الأجهزة الحكومية والمنظمات الدولية بما فيها وكالات الأمم المتحدة.

وعلى الرغم من الانتشار الواسع لتلك المنظمات وبشتى مجالاتها وهي ظاهرة صحيحة تخدم وتدعم عمل مؤسسات الدولة من خلال التعاون والرقابة لأدائها وبالتالي تعود الفائدة إلى تطور أداء مؤسسات الدولة بشكل عام وخدمة المواطن ورقيه بشكل خاص.

ولكن ليس أداء بعض تلك المنظمات لا يخلو من السلبيات من سوء في الإدارة والفساد المالي كون إن هذه الظاهرة حديثة التكوين على مجتمعنا وكون اغلب المنظمات العاملة على الساحة العراقية تمول من مصادر غير معروفة وغير معروفة عائديتها وانتماؤها ومرجعيتها، والكثير منها أداؤها ليس بالمستوى المطلوب، فهي بحاجة إلى تنظيم وهذا التنظيم معني في إصدار قانون تعمل من خلاله تلك المنظمات، حيث ينظم هذا القانون أداء هذه المنظمات من خلال مبدأ المساءلة والمحاسبة من كل الجهات ذات العلاقة، سواء في إدارتها الداخلية والمستفيدين من المجتمع وأمام القانون والأجهزة الحكومية، والجهات الدولية المانحة، وتكون على أسس الشفافية والمصداقية، وتستند العلاقة بين الحكومة والمنظمات غير الحكومية إلى العوامل التالية وهي:

- شرعية تأسيس وضمان استمرار عملها
- حرية واستقلالية عمل المنظمات
- ضمان شفافية ومساءلة ومحاسبة المنظمات

ومن خلال توفر تلك العوامل نستطيع أن نحصل على أداء فعال لتلك المنظمات بالتعاون مع أجهزة الدولة إذا استطاعت تلك المنظمات إلى مشاركة حقيقية في صياغة قانون جديد ينظم علاقتها بالدولة من جهة، وبالمجتمع من جهة أخرى، على أسس دعم سيادة القانون وإشاعة ثقافة حقوق الإنسان وبناء علاقة على أسس السلم الأهلي والحريات العامة، وأود أن الفت انتباه صانعي القرار والمشرعين في الدولة، والقادة السياسيين والرأي العام إلى نقطة مهمة جدا والتي ينبغي احترامها، وأخذها بنظر الاعتبار عند تشريع هذا القانون.

احترام مبدأ حرية المنظمات غير الحكومية وحرية تنظيمها، فلكل شخص طبيعي ومعنوي الحق في المشاركة في تأسيس وإدارة المنظمات غير الحكومية، والانتساب إليها، والانسحاب منها بحرية، ووضع أنظمتها الداخلية بحرية وتعديلها إذا اقتضت الضرورة.. وهذا ما ورد في الدستور العراقي بشان الحريات العامة، حيث كفل الدستور حرية التعبير عن الرأي والعقيدة والعبادة، وتأسيس الجمعيات والأحزاب السياسية، كما وأكد ضرورة تعزيز دور تلك المؤسسات ودعم الدولة لها من اجل تطويرها واحترامها واستقلاليتها، وأتمنى أن تتضافر الجهود المشتركة بين المنظمات ومؤسسات الدولة المختلفة والتي أخذت أشكالا مختلفة، لتعزيز سيادة القانون والعدالة واحترام حقوق الإنسان واستكمال السيادة الوطنية، والعمل المشترك من اجل السلام والديمقراطية وإعادة الأعمار والتنمية.

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
Opinions112@ yahoo.com

ونعيب شريعة الغاب!

هادي طعمة البغدادي

في سنوات جيلنا نحن المكتهلين كان يقال :من يزرع البغضاء يحصد الكراهية ،ومن يغرس المحبة يحصد الحياة، ولربما قيل قبل ذلك او معه ان احد الحكماء سمع رجلا يقول بمرارة النادم من عمل أوقعه فيه حظه العاثر: يا ليتني أجد من يقول لي-اي من يدله على صحيح الأمور-فأجابه الحكيم: يا ليتك عملت بما لديك، أي بفطرتك وما تمرست فيه بالحياة، وبما تزودت به من الحياة. فمع كل منا فطرته التي فطر عليها هذا الكائن (الاجتماعي بالطبع) وما تستتبعه لائحة اجتماعيته من إقامة شريعة الوئام وفروعها من أوتاد التسامح والصفح ومن الود والوداد..الخ.. كي يقوم مجتمع الأمان والاطمئنان والسلام، في نقيض استشراء أخلاقيات البغض والغضب والحقد والغيظ وسائر ظواهر التوتر والتأزم والمنازعات التي تنتهي أحيانا بوحشية القتل كما في شريعة الغاب التي نعيبها دوما وندعي نبذنا إياها، فيما صار متحققا بفضل الدراسة العلمية التي أجريت على تصرفات الحيوان وردود أفعالها ان يتحقق العلماء من ان هذه المخلوقات (تحب القتال) بالفطرة وان الحياة اليومية لكثير منها تتصف بالعدوانية، ولم يتحقق بعد ان الروح العدوانية من فطرة الإنسان، على حين ثبت بالدليل الملموس والمرئي ان الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستطيع ممارسة (عدوانية حقيقية) كما في الاقتتالات المسلحة، الفردية او الجماعية، الدولية والعالمية، التي أغرقت بالسواد المجلل بالعار والشنار، صفحات غفيرة من صفحات سائر تواريخ الشعوب، وذلك برغم انه ليس ثمة امرؤ مستقل عن محيطه ومؤثراته الثقافية الرامية-بدفع من كونه اجتماعياً بالطبع- الى إقامة السلام الاجتماعي والتآلف الإنساني، ولو بين أبناء الأصول العرقية والثقافية او الدينية والمذهبية- الواحدة .لكنه تأيد في دراسة سلوكيات الأجناس الحيوانية ان هذه المخلوقات اقل عدوانية بكثير من بني البشر ولا سيما تجار الحروب ومرتزقة القتل.. وان العدوانية سمة محضة لأبناء من أبناء آدم.

فقابيل- منذ بدء الخليقة- ساق أخاه هابيل، الى الموت قتلا –وربما صبرا كما تقول ادبيات القتل وتواريخه- بدافع لاشك في انه من دوافع شريعة الغاب، افرغ قابيل شحنات حقده وعدوانيته في كيان أخيه الوحيد الذي لا أخا له، وانتحى جانباً يملؤه الشعور بالارتياح مما اعتلج في صدره وروحه من تأزم وتوتر واضطراب، ثم خلا له الجو من الخصم المنافس المنازع الذي اقلق عليه حياته واقض مضجعه حتى أشعل فتيل (العدوانية) لديه، الا انه سرعان ما أحس بفراغ الانفراد وحده وشعر بوحدة موحشة، وربما نقم على نفسه وعلى الوحشية التي ركبته وأفضت الى تغييب أخيه (وراء الشمس).. الى الأبد، ولعل حسرات روحه وقلبه الخاويين لفقده الألف الأليف والأخ العضيد والشعور ببهجة الإنس بوجود الأنيس.

منذ ذلك الزمان السحيق كانت-بل قامت أيضاً-أولى نواة شريعة الغاب بين أول ابنين من أبناء آدم متمثلة في اصغر وحدة (اجتماعية).. قبل ان تكون للغاب شريعتها وقبل ان تكون هناك غاب ووحوش تحدوها فطرتها التي فطرت عليها الى التقاتل ويأكل جنس منها جنسا آخر، وبرغم كل شيء يصنف الإنسان في خانة ارقى المخلوقات الحيوانية! مع انه ملأ الزمان والمكان دماء وأرواحاً مزهقة، خلافاً لسلوك المخلوقات العليا في عالم الحيوانات! فهي قد تتنازع وتتكاسر وتتجارح لكن افراد الفصيلة الواحدة لا يقتل بعضها بعضا في الأغلب الأعم بنحو ما يفعله هذا المخلوق الادمي المسمى الإنسان! بعزم وتصميم،حتى ان منه من يستنفر في نفسه وفي الأفراد والجماعات قوى الذكاء وتجليات الأذكياء ويستعين بكل الخبرات والخرافات ويوظف شتى المهارات لإثارة الاقتتال وإدامة الحروب كي لا يتسهد في نومه قلقا من ان لا يدخل أسفار التاريخ من كل أبوابه. وبرغم هذا الملموس من صنيع الإنسان وسلوك الحيوان ما زلنا نعيب (شريعة الغاب) ونزدريها مع من يمارسها ،فنذكر بالأحزان المأساة التي أحدثها قابيل، والمأساة الأكبر للسيد المسيح، ومقتل سيد رجالات الطف ومن معه، وسائر المصلحين من الثائرين لأجل العدل والإنصاف وإحقاق حقوق الإنسان بغية الارتقاء ببني آدم الى مستوى الإنسان وشريعة الوئام والسلام.

لم تختلف شريعة ابني آدم عما جرى ويجري في شريعة الغاب قبل ان يلوكها الناس بالعيب وادعاء النبذ، فهذا الكائن الآدمي يبدو انه فطر على غلبة ما فطرت عليه كائنات الغاب الحقيقية! لكننا سنظل نعيب هذه الشريعة (!) مع انها كائنة في بعض منا، كامنة في ما بيننا: في ذوات من لا يملكون الا الخضوع لإرادة العدوان والإذعان للأحقاد والاحسداد والتلذذ بالاضطهاد والاستعباد والاستمتاع بالقتول والحروب وبالارتزاق من لحوم البشر مشوية وطرية والاتجار بأسباب الحروب ودواعيها،.. ولقد قيل.. وقيل.. ولكن مع ذلك لا يجهز عالم الحيوان الفتاك على خصمه من فصيلته وأبناء جنسه ،حتى في مملكة الذئاب أخس مخلوقات الحيوان وأشرسها- كما يفعل أبناء ضخام الصيت والسمعة طغام من بني (الإنسان صانعي التاريخ)! ومع ذلك كله بل وبالرغم منه ترى فطرة الذئب محكمة السير على انها تأخذها الرأفة والرحمة بمثيلها الذئب ولو جاءها من أقاصي البلدان او هبط الى صحاراها من أعالي الجبال، فيما الآدمي الذي يظهر في صورة الإنسان ذئب مؤجل الى حين، ضحاياه ملايين الناس، على لائحة الانتظار.

ومع هذا كله –بل وبالرغم منه أيضاً- لا نزال نعيب شريعة الغاب.. كما عبنا الزمان من قبل!